استراتيجية الخطاب في كلام الامام علي(عليه السلام) دراسة سوسيولوجية في نص الإمام علي (عليه السلام) عن حق الوالي وحقّ الرعيّة

الدكتورة بتول محسنى راد
استاذة مساعدة اللغة العربية وآدابها
جامعة سيستان وبلوشستان – إيران - زاهدان
bmohseni1388@gmail.com

Strategy of Discourse in the words of Imam Ali(peace be upon him) The study: The right of the governor and the right of the people. From a sociological perspective

Batoul mohseni rad
Professor of Arabic Language and Literature , University of Sistan and Baluchestan

الملخّص :

الإمام علي (عليه السلام) شخصية لا نظير لها في عصرها وفي العصور اللاحقة، إمام الفصحاء و الخطباء. لقد نالت شخصية وآثاره حظا و افراً من الدراسات و البحوث ولكن علي رغم كل هذه الجهود، لم يحظ نهج‌البلاغة حقها من الاهتمام والدراسة.

يعالج هذا المقال دراسة تحليلية لخطبة : "حق الوالي وحقّ الرعيّة،" لتبيان حقوق الناس والعدالة الاجتماعية في الاسلام؛ والذي ابتعدوا عنها الحكّام المجتمعات الاسلامية، ولا تقوم بدورها الحقيقي المتمثل في تطبيق وتنفيذ هذه السير الذي رسمها القرآن ونهج‌البلاغة. وقد توصل الباحث من خلال هذا البحث نتائج: فقد ألقي الإمام هذه الخطبة التي تدلّ على صدر الإسلام، ليبين حقه في الخلافة وبالتالي في طاعة الناس؛ بعد أن خرج قوم علي طاعته إثر معركة صفّين. و الثاني، إلامام علي(عليه السلام) الخليفة الشرعي الذي تولي الخلافة بعد مقتل عثمان؛ وسلطته من عند الله، مصدر كل سلطة، في النظام الثيوقراطي. والثالث، إن اصلاح البلاد والسعي في الإصلاح الاجتماعي الذي يشمل كل طبقات المجتمع واتخاذ الحلول العملية لمشكلاتهم، هو الهدف الاساسي الذي يقوم عليه نهج أميرالمؤمنين (عليه السلام). الرابع: علي(عليه السلام): أفضل عالم الاجتماع عبرتاريخ،أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء. كانت حاضرة باستمرار،خطبه لاتقتصر علي زمن من الازمان، أو جيل من الأجيال.

الكلمات الرئيسية : الإمام علي – حق الوالي – حق الرعية – العدالة – المجتمع – الحكام – الناس – الحقوق .

Abstract:

Imam Ali (peace be upon him) is an unrivaled figure in her time and in later times, the imam of the preachers and the preachers She has received a character and its effects are fortunate and abundant of studies and research. However, despite all these efforts, the eloquence approach has not received its attention and study.This article deals with an analytical study of the sermon: "The right of the governor and the right of the parish.To demonstrate the rights of people and social justice in Islam; which the rulers of Islamic societies have avoided, and does not play its real role in the implementation and implementation of these paths drawn by the Koran and the approach of language.

Ali (AS) : The best sociologist in history, the most eloquent and the most eloquent. He was constantly present, his speeches not limited to a time of time, or a generation of generations.

Keywords: Imam Ali , right of Wali , right of parish , justice , society , rulers , people , rights.

المقدمة

الإمام علي‌بن ابي‌طالب (عليه السلام) صوت العدالة الإنسانية، وشخصية الخالدة في العالم، أفصح الفصحاء وسيد البلغاء. باب مدينة العلم ومحطم الأوثان، له صفات خاصّة تَميّز بها عمّن سواه من مُعاصريه وسابقيه، وباعتراف الجميع أفضل شخص مطّلع على الإسلام بعد الرسول (صلي الله عليه و آله و سلم)؛كان لنهجه مدى أعجاب وتأثر الكثيرفي العالم. لقد كتبَ الكثير بشأن الإمام علي (عليه السلام)، لكن هذه الكتابات على كثرتها وتنوع كتابها واختلاف اتجاهاتهم الفكرية والعلمية لايزال يوجد في الأوراق والمكتبات. ولم تصل المجتمعات الاسلامية الي معايير العدالة علي(عليه السلام). حيث الحكام الاسلامية ابتعدوا عن السير على ما رسمه القرآن و نهج‌البلاغة؛ وهجروا كتاب الله وعطلّوا سنّة اهل‌بيت (عليهم السلام)؛ واتكئوا على طبقة من الوعّاظ الضالّين المُضلّين في تأويل الآيات وتحريف الأحاديث، حتّى يسهل أمر السيطرة على الأُمة ويؤدي الي الانحطاط المسلمين وانتشار الفقر والفسادواسقاط القوانين في المجتمعات الاسلامية. ولكن كما قال القرآن الكريم:

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾: (قران كريم: الذاريات: ٥٥)، نتمني، دراسة هذه البحوث يفيدنا ويؤدي الي اصلاح مجتمعنا الاسلامي، وتحقق الشرائع الدينية واجراءالسنن والقوانين وفقا لوجهها الصحيحة. هذا المقال يدير علي أربعة محاور: المحور الاول حول شخصية علي(عليه السلام).المحور الثاني: آراء المفكرين العالم حول الامام(عليه السلام).المحور الثالث: سمات نهج‌البلاغة.المحور الرابع: الدراسة نص حق الوالي وحقّ الرعيّة إحدي الخطب المعروفة للإمام. لأن الحديث عن حقوق الإنسان عند الإمام علي (عليه السلام) هي من أهمّ القضايا التي أشارإليه في خطب مختلفة و بمناسبات متعدِّدة. تحاول هذه الدراسة الإجابة عن عدة تساؤلات:

ما القضايا التي يطرحها الامام علي(عليه السلام)؟ وإلام استند في معالجتها؟ ما هي علاقة الوالي بالرعية في الاسلام. لماذا أكد الامام قضية تلازم الحق والواجب وتكافؤ الحقوق بين الراعي والرعية؟

المنهج المتبع في هذه الدراسة:

يقوم هذا البحث على دعامتين أساسيتين من مناهج البحث العلمي ألا وهما المناهج الوصفي؛ وذلك في وصف القضية المحورية في هذه الدراسة وهي العدالة الاجتماعية وطريقة العمل بها.

المنهج الثاني: المنهج التحليلي: بغية الإلمام بجوانب البحث والإحاطة بالموضوع، اخترنا هذا المنهج.

في هذا البحث المتواضع الذي يتعلّق بالفكر الاجتماعي عند الإمام علي (عليه السلام) لا ندعي بأننا نتناول كل المواضيع ولكن تبيان مواقف الإمام التي سجلها التاريخ ونشكر سبحانه وتعالى وفقّنا الي هذا الحد والبحث عن الرجل الإلهي الذي لا نظير له في العالم.

خلفية البحث:

قد كتب المقالات كثيرة حول محور حقوق المتبادلة بين الدولة والأمة في نهج‌البلاغة وأهمها: حقوق الناس من منظرامیرالمومنین(جوادآراسته). الحقوق المتبادل بين الحكومة والناس(محمد مهدي شمس الدين). الحكومة والحقوق المتبادل بين الناس والدولة. (گل صنملو زين‌العابدين، موحدي محب عبداله). اصول ومبادي الحكومة والسياسة في نهج‌البلاغة(دكتر علي اكبري محمد رضا رستمي). كلها باللغة الفارسية ولم نعثر علي بحث يعالج الخطبة بشكل تحليلي. هذا المقال يحمل في طياته شيئا جديدا، ألا وهو: تصوير الخطبة من حسن تقسيم، وتدرّج منطقيّ، وترابط فكري وبلاغة في الكلام ومراعاة أحوال السامعين.

علي‌بن ابي‌طالب(عليه السلام) نبراس ومشعل الحرية والعدالة

الإمام علي‌بن ابي‌طالب (عليه السلام) هو في الحقيقة والتاريخ واحد، سواء عرفناه أم لم نعرفه، هو صوت العدالة الإنسانية، وشخصية الخالدة في العالم. ولد في داخل الكعبة فهو إبن عم رسول الهدى وأقرب الناس إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . تربى في البيت الذي خرجت منه الدعوة الإسلامية، في ظل توجيهات و تعليمات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). هو أول القوم اسلاما وأشد ايمانا واكثرهم علما.

علي‌بن ابي‌طالب (عليه السلام) "ولد مزوداً بمؤهلات ذهنية ارتفعت به إلى مستوى العبقرية التي هي فوق الذكاء المتفوّق. و من جهة اخري المزية التي امتاز بها عليٌّ بين فقهاء الإسلام في عصره أنه جعل الدين موضوعاً من موضوعات التفكير و التأمل، ولم يقصره على العبادة وإجراء الأحكام". (العقاد، ٢٠١٢: ٢٧)

كان لنهج الإمام علي (عليه السلام) في الفكر الأوروبي، مدى إعجاب وتأثر الكثير من هؤلاء المستشرقين والأدباء و الفلاسفة الأوربيين بالنهج الآلهي والرباني للإمام، وكذلك الحال بالنسبة للتيارات الفكرية الإنسانية في أوربا وأمريكا.

آراء المفكرين حول الإمام علي(عليه السلام)

جبران خليل جبران: علي‌بن ابي‌طالب شخصية فريدة وأسوة إنسانية في تاريخ البشرية والذي صنعت تاريخ و الحضارة الانسانية له بصمات الخالدة على صفحات تاريخ بلاد والعالم، في كل المجالات صاحب آراء في التصوف و الشريعة والأخلاق (جورج، جرداق،، ٢٠٠٨: ٦٧).

رأى المفكر "جبران خليل‌جبران" الكمال الإنساني بكل معانيه وأبعاده متجلياً في ثلاث من شخصيات العالم هم: نبي‌الله عيسى (عليه السلام)، والنبي محمد (صلى الله عليه وآله)، والإمام علي(عليه السلام). ويرى أيضاً إن الإمام علي (عليه السلام) مات شهيداً، شهيد عظمته الإنسانية ورقيه الروحاني وعقيدته الإسلامية الصافية (نفس المصدر ، ٢٠٠٨: ٦٧)

المستر كربنكو الإنكليزي ونهج‌البلاغة"إنّ للقرآن أخاً صغيراً يُسمّى (نهج‌البلاغة)، فهل في إمكان أحد أن يأتي بمثل هذا الصغير حتّى يسوغ لنا البحث عن الأخ الكبير(راجي نور، ٢٠٠٩: ١٠٢).

أشار المستشرق الفرنسي "هنري كوربان " إلى أهمية كتاب (نهج‌البلاغة) وأنه يأتي بعد القرآن الكريم و الأحاديث النبوية الشريفة، ليس على المستوى الإسلامي الشيعي فحسب، بل على المستويين الإسلامي و العربي عموماً. ولذلك ممكن القول إن الكثير من المفكرين والأدباء والباحثين يؤمنون اليوم أن كتاب(النهج‌البلاغة) من الآثار اللغوية و البلاغية العظيمة للإمام علي (عليه السلام) الذي أعطى اللغة العربية صيغتها النهائية وألبسها ثوب البلاغة البديع (نفس المصدر، ٢٠٠٩: ١٠٢).

الأستاذ جورج جرداق الأديب اللبناني المعروف: "يدرس الإمام علياً من المهد إلى اللحد، فتنتشي نفسه إعجاباً بعلي، لقد رأى في تراثه: علماً شاملاً ساحراً، وبلاغة آسرة، وخلقاً نقياً تصغر عنده إشراقة الصباح، وإنسانية تتدفق بحراً من الجمال والجلال. رآه وكأنما هو قرآن بعد القرآن وإنه ليراه(أقرب الخلق إلى المسيح بوداعته، وزهده، وتواضعه، واستقامته"(راجي نور، هيفا، ٢٠٠٩: ٩٩٨).

إدوار حنين كاتب وشاعر لبناني، يشير في مقتطفات من محاضرته "بعد العاصفة" الي كلام امير رالمومنين(عليه السلام): إ إِنِّي لا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِناً ولا مُشْرِكاً أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللَّهُ بِإِيمَانِه وأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللَّهُ بِشِرْكِه ولَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقِ الْجَنَانِ عَالِمِ اللِّسَانِ يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ ويَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ (إدوار حنين، ٢٠٠٨: ١٥١).

ميخائيل نعيمه: "بطولات علي‌بن ابي‌طالب ماقتصرت علي ميادين الحرب، فقد كان بطلا في سحر بيانه، هو أخطب الناس بعد رسول الله، وبطلا في عمق انسانيته"(جورج جرداق، ٢٠٠٨: ٦٧).

وأشاد الشعراء الكبار بفضائله كما تناولته الكتب التاريخية الحديثة، وأشاد به كبار الكتّاب في العصر الحديث من أمثال "عباس محمود العقاد، وجورج جرداق، وعبد المسيح أنطاكي، وعبد الرحمن الشرقاوي، ومحمود شلبي، ومحمد رواس قلعه جي، والشيخ خليل ياسين، والسيد محمد كاظم القزويني، ومحمود محمد العلي" وغيرهم كثيرون وهؤلاء جميعا ألفوا كتبا عن الامام(عليه السلام).

سمات نهج‌البلاغة

لم يشتهر بعد القرآن الكريم في مملكة الادب وعاصمة الفكر كتاب كاشتهار- نهج‌البلاغة- ذلك الكتاب العربي المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فكان على امتداد التاريخ وعبر القرون والاحقاب وتطاول الاجيال، كاشتهار الشمس في الظهي. لقد كانت خطب الامام (عليه السلام) وحكمه وأقواله الكريمة موضع عناية العلماء واهتمام الادباء وتقديرهم الكامل، وتحتل الصدارة بين المواضيع، وتقع في الرعيل الاول من قائمه ومناهجهم الدراسية ومحفوظاتهم.

إنّه مصدر هام للكشف عن مفاهيم الإسلام وآرائه في جميع حقول الحياة، فمن مبادئ الأخلاق إلى قوانين الحرب إلى تعاليم إدارية وسياسية إلى رؤى اجتماعية

واقتصادية أشار المستشرق الفرنسي "هنري كوربان " إلى أهمية كتاب (نهج‌البلاغة) وأنه يأتي في الأهمية بعد القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، ليس على المستوى الإسلامي الشيعي فحسب، بل على المستويين الإسلامي والعربي عموماً. ولذلك ممكن القول إن الكثير من المفكرين والأدباء والباحثين يؤمنون اليوم أن كتاب (النهج‌البلاغة) من الآثار اللغوية والبلاغية العظيمة للإمام علي (عليه السلام) الذي أعطى اللغة العربية صيغتها النهائية وألبسها ثوب البلاغة البديع. أمّا في الحقيقة نهج‌البلاغة تراث عظيم وثروة ضخمة تبرز أهميته في النّقاط التّالية:

إنّه مصدر هام للكشف عن مفاهيم الإسلام وآرائه في جميع حقول الحياة، فمن مبادئ الأخلاق إلى قوانين الحرب إلى تعاليم إدارية وسياسية إلى رؤى اجتماعية واقتصادية. إنّه مرآة صادقة تعكس لنا الكثير من أحداث التّاريخ الإسلامي، فهو بمثابة مذكّرات رجل عاش الأحداث وشارك في صناعتها. نهج‌البلاغة بعكس تاريخ التطورات السياسية التي مرت على المجتمع الإسلامي بعد الجاهلية، و خاصة بعد رحيل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

استراتيجية الحقوق من منظار أميرالمؤمنين (عليه السلام) بصفين

حق الوالي وحق الرعية

القسم الاول

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ جَعَلَ اللهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً بِوِلاَيَةِ أَمْرِكُمْ، وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ، فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ، وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ، لاَيَجْرِي لاَحَدٍ إِلاَّ جَرَى عَلَيْهِ، وَلاَ يَجْرِي عَلَيْهِ إِلاَّ جَرَى لَهُ،

وَلَوْ كَانَ لاَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلاَ يَجْرِيَ عَلَيْهِ، لَكَانَ ذلِكَ خَالِصاً للهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ، لِقُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ، وَلَكِنَّهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ تَفَضُّلاً مِنْهُ، وَتَوَسُّعاً بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِيدِ أَهْلُهُ(شريف، رضي، ١٩٩٨: ٢٤٨).

القسم الثاني:

ثُمَّ جَعَلَ ـ سُبْحَانَهُ ـ مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقاً افْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ، فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ فِي وُجُوهِهَا، وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَلاَ يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلاَّ بِبَعْضٍ.

وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ ـ سُبْحَانَهُ ـ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ، وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ، عَلَى الْوَالِي، فَرِيضَةً فَرَضَهَا اللهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ لِكُلّ عَلَى كُلّ، فَجَعَلَهَا نِظَاماً لاُلْفَتِهِمْ، وَعِزّاً لِدِينِهِمْ، فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلاَّ بِصَلاَحِ الْوُلاَةِ، وَلاَ تَصْلُحُ الْوُلاَةُ إِلاَّ بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ. فَإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ، وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا، عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ، وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلاَلِهَاالسُّنَنُ، فَصَلَحَ بِذلِكَ الزَّمَانُ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ، وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ الأَعْدَاءِ

. وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا، أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ، اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ، وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ، وَكَثُرَ الاِدْغَالُ فِي الدِّينِ، وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ، فَعُمِلَ بِالْهَوَى، وَعُطِّلَتِ الأَحْكَامُ، وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ، فَلاَ يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّلَ، وَلاَ لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ! فَهُنَالِكَ تَذِلُّ الأَبْرَارُ، وَتَعِزُّ الأَشْرَارُ، وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ اللهِ عِنْدَ الْعِبَادِ(نفس المصدر ، ١٩٩٨: ٢٤٩).

القسم الثالث:

فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذلِكَ، وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ، فَلَيْسَ أَحَدٌ ـ وَإِنِ اشْتَدَّ عَلَى رِضَى اللهِ حِرْصُهُ، وَطَالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ ـ بِبَالِغٍ حَقِيقَةَ مَا اللهُ سُبْحَانَهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ، وَلَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللهِ عَلَى العِبَادِ النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ، وَالتَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ. وَلَيْسَ امْرُؤٌ ـ وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ، وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ ـ بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَّلَهُ اللهُ مِنْ حَقِّهِ. وَلاَ امْرُؤٌ ـ وَإِنْ صَغَّرَتْهُ النُّفُوسُ، وَاقْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ ـ بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ.

الدراسة النص:

المتكلم هو الإمام علي(عليه السلام) والمخاطبين هم أتباعه ورعيته: " فَقَدْ جَعَلَ اللهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً بِوِلاَيَةِ أَمْرِكُمْ، وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ" . يعالج الإمام في خطابة هذا، موضوع الحقوق(نفس المصدر ، ١٩٩٨: ٢٤٩).

المستوي المعجمي:

والافت ان المفردة "الحقّ /الحقوق" قد تواترت سبع عشرة مرة في النص ويستند الإمام في معالجتها الي المنطقالديني: " جَعَلَ اللهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً" "/ ثُمَّ جَعَلَ ـ سُبْحَانَهُ ـ

مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقاً افْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ فمصدر الحقوق، الهيٌ وهو القضيّة المركزية في تفكير علي(عليه السلام)، لقد تواترت الكلمة "الله" سبع مرّات، وعبر الضمير العائد اليه، عشرين مرّة

وهكذا، حضرالله في النص كله. ونفهم أنّ للإمام رأيا في مسألة"الحقوق" وهذا ما يثبت استخدام النمط البرهاني.

حركة النص:

نلاحظ أنّ القسمين: الأول والثاني برهانيّان، استهلّ الإمام كلّا منهما، بطرح القضيّة، تَلَتها المعالجة، وأنّ القسم الثالث استنتاجيٌ استهلّه بإيعاز تلاه تثبيت وتاكيد.

القسم الاول: تلازم الحقّ والواجب، أو مقابلة الحقّ بحق.

يتوخي الإمام اقناع الناس بقبول ولايته، ووجوب طاعته، من غير أن يفصح عن هدفه. فجعل طاعتهم إيّاه حقا له، وواجبا عليهم. وبالمقابل، جعل رعايته إيّاهم، حقا لهم وواجبا عليه.

فَقَدْ جَعَلَ اللهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً بِوِلاَيَةِ أَمْرِكُمْ،: عليكم واجب الطاعة وقبول خلافتي.

وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ: عليّ واجب رعايتكم وتامين حاجاتكم.

فمصدر حقّه في الحكم الهيّ، وما علي الناس، إذا، سوي الطاعة. وبالمقابل، للناس حقّ عليه، وهو واجب رعايتهم. ولكن الناس لايدركون تلازم الحق والواجب، وينظرون الي الحقّ وحده، ويصفون اوصافه، أما عند حدوث الحقّ، يفاجؤون بضيق مجاله، واثر هذا لايحدث الحقّ إلّآ مقترنا بواجب؛فحقوق الراعي هي بعض حقوق الله علي الرعية، وحقوق الرعية بعض حقوق الله الإخري علي الراعي. (محمدطي، ١٩٩٧: ٥٩) قال الإمام: فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الاْشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ، وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ يوكد الإمام قضية تلازم الحقّ والواجب.

لاَيَجْرِي لاِحَد إِلاَّ جَرَى عَلَيْهِ، وَلاَ يَجْرِي عَلَيْهِ إِلاَّ جَرَى لَهُ مقابل كلّ حقّ واجبُ، ومقابل كلّ واجب حقّ، ولا يحدث أحدهما من غير أن يلازمه حدوث الآخر. وبعد أن طرح الإمام قضية اقتران الحقّ بواجب، انتقل الي مناقشتها. فالقاعدة الحقوقية التي تحكم النظام السياسي الإسلامي عند الإمام(عليه السلام) قائمة علي حقوق الله انطلاقا من أن العالم ملكه وحده. (نفس المصدر١٩٩٧: ٦٧)

يؤكد الإمام امتناع وجود حقّ خالص منای واجب، عندالبشر. وبالمقابل، يفترض أن هذا الأمر ممكن عندالله وحده: وَلَوْ كَانَ لاحَد أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلاَ يَجْرِيَ عَلَيْه، لَكَانَ ذلكَ خَالصاً لله سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقه، لقُدْرَته عَلَى عبَاده، وَلعَدْله في كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْه صُرُوفُ قَضَائه ويعلّل حصول الحَقّ، بقدرة الله وبعدله الدائم غير المحدود: . برهن الإمام تلازم الحَق و الواجب، مستندا إلي المنطق الدّيني، متمثلا بعلاقته بالرعيّة، وما لكل منهما وما عليه، ثم بالله وبعباده، حيث اقتران الواجب المطلوب من البشر، بالثواب المضاعف الّذي يمنحه الله لمطيعيه، مقابل حقّه الإلهي في طاعتهم.

أهمية علم الاجتماع وعلم الاقتصاد في هذه الخطبة

الحقوق بين الراعي والرعية:

فَريضةً فَرَضَهَا اللهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ لكُلّ عَلَى كُلّ
فَجَعَلَهَا نظَاماً لالْفَتهمْ،
وَعزّاً لدينهمْ
فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعيَّةُ إلاَّ بصَلاَح الْوُلاَة،
وَلاَ تَصْلُحُ الْوُلاَةُ إلاَّ باسْتقَامَة الرَّعيَّة،
فَإذا أَدَّت الرَّعيَّةُ إلَى الْوَالي حَقَّهُ، وَأَدَّى الْوَالي إلَيْهَا حَقَّهَا،
عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ،
وَقَامَتْ مَنَاهجُ الدِّين،
وَاعْتَدَلَتْ مَعَالمُ الْعَدْل،
وَجَرَتْ عَلَى أَذْلاَلهَاالسُّنَنُ،
فَصَلَحَ بذلكَ الزَّمَانُ،
وَطُمعَ في بَقَاء الدَّوْلَة،
وَيَئسَتْ مَطَامعُ الأَعْدَاء(نهج البلاغة،٦٥:١٤١٢)

قوة الاقتصاد أهم العوامل الرئيسية التي تسهم في كيان وقوة حضارية وتقوم الي جانبه نظام الرفاهية الاجتماعية وبه تدعم خطط التنمية والتطور الاجتماعي.

تكافؤ الحقوق بين الراعي والرعيّة

بعد تلازم الحقوق والواجبات، يعتقد الإمام أنّ حقوق الناس جزء من حقوق الله. وقد افترضها الله" لبعض الناس على بعض". ويؤكد التعادل والتوازن بين الحقوق

الناس والمجتمع. ومن نموذج هذا الحقوق" حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ، وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي. الجدير بالذكر، في كل الاحوال يستند الإمام إلي المنطق الديني، ثمّ يضيف مبدا ثالثا وهو الصلاح: صلاح الراعي وصلاح الرعيّة. وبعد طرح هذه النظرية يوصف نتائجها الايجابية والسلبية، عبر برهانيتين متعارضتين مقدمتين بأسلوب الشرط، ومبنيتيين بناء جدليا:

إذا أدّت الرعيّة الى الوالي حقّه: ←عزّالحقّ بينهم،وقامت مناهج الدين. . .

وإذا الوالي إلى الرعيّة حقّها:← طمع في بقاءالدولة ويئست مطامع الأعداء.

واذا غلبت الرعيةِ واليها:←اختلفتهناكالكلمةوظهرت معالم الظلم والجور.

إذ أجحف الوالي برعيته← فهنالك تذلّ الأبرار وتعز الأشرار وتعظم تبعات الله عند العباد.

طرحت المتتالية الأولى القضية من جانبها الأيجابي: ← فإذا قامت الرعيّة بواجبها نحو الوالي، وبالمقابل، قام الوالي بواجبه نحو الرعيّة. يودي الي نتائج خيرا شاملا وبالتالي:

الاصلاح الأمور واقامة نظام الألفة

اعتناء الطرفان عن حبّهما للحق ومراعاته واحترامه

تتحقق الشرائع الدينيّة واقامة العدل

اجراء السنن والقوانين وفقا لوجوهها الصحيحة

اصلاح اوضاع الناس

عزم الحكومة ضدّ الفساد واسقاط العصبيات

الاطماع و خيبة الاعداء لتسلط على الدولة الاسلامية.

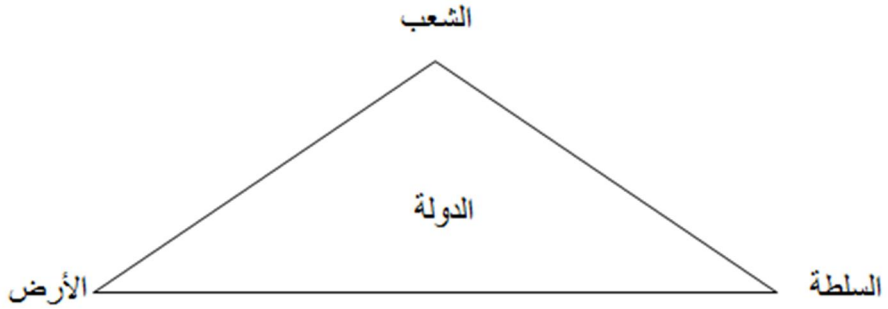

تقوم الحكومة بمقوّماتها الثلاثة: الأرض والشعب، والسلطة أو علم السلطة .

لاتقوم العدالة السياسية لمجرد معرفة الأسس والقواعد التي تقوم عليها، فالعبرة في التفيذ. (زيتون، علي محمد، ٢٠١٢: ١٨٤).

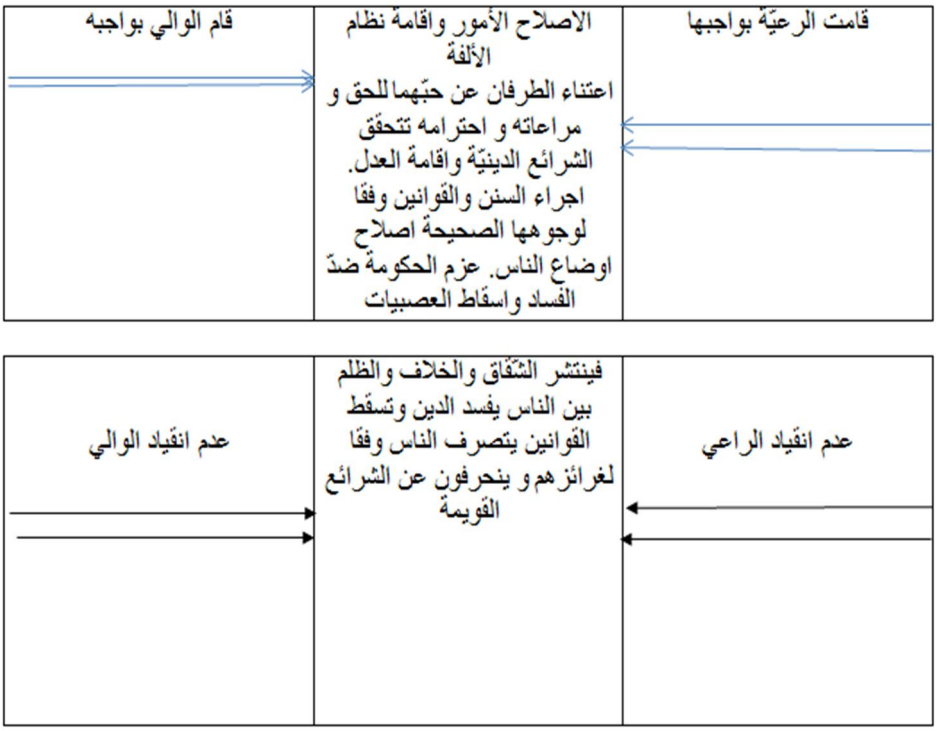

و طرحت المتتالية الثانيّة القضيّة من جانبها السلبيّ، في حال عدم انقياد أحد الطرفين:

الراعي أو الراعيّة، فلم يقم بواجبه، أو في حال قهر أحدهما الآخر(القضية).

النتيجة دون شك كان شرا كاملا

فينتشر الشّقاق والخلاف والظلم بين الناس.

يفسد الدين وتسقط القوانين ويتصرف الناس وفقا لغرائزهم وينحرفون عن الشرائع القويمة وتستفحل العلل في النفوس .

وجوب التناصح وحسن التعاون

ينتهي النصّ باستنتاج يقدمه الإمام عبر طلب أو ايعاز:

عَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذلِكَ، وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ . يبين طلبه في ثلاث دورات تعبيرية يستهل كلا منها بالنفي يليه اعتراض بأسلوب الشرط، لينهي كلامه بالخير المصدّر بحرف جرّ زائد يفيد التاكيد.

ويبني هذه الدورات علي التوازي التركيبي:

الايعاز النفي الاعتراض الخبر

عَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذلِكَ، وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ: (فليس أحد)-(وإن اشتد...)(يبالغ ما الله). يمثّل الأيعاز (فعليكم...)استنتاجا قضاه ما ورد في القسم السابق .يوكد الإمام في هذه الجملة وجوب التناصح وحسن التعاون بالآتي:

أولاً :بعدم وجودأي مومن،أيا تكن مجاهدته،قادر مومن علي بلوغ وايصال ما يستحقه الله من طاعة الناس. ومع ذلك،من حق الله علي عباده أن يتبادلوا النصائح قدرما يستطيعون بينهم.

ثانيا: بعدم وجودأي رجل،مهماعلا شأنه في الدنيا والدين ،قادر علي حمل الحقّ الذي منحه إياه الله،من غير أن يعان علي هذا الحمل.ثالثا:ليس في الدنيا أي امريء،مهما تكن حقارته وضعفه،إلّا وهو قادرعلي مساعدة الآخر،أو تقبّل العون،لإقامة الحقّ المتكافيء بين الناس.

العدالة السياسية والمساواة أمام القانون

لعل أهم مقومات العدالة السياسية أن يكون جميع الناس سواسيه أمام الحاكم. وهذا ما وضعه الأمام(عليه السلام) في رأس حساباته، فقد أقسم لأحد عمّاله الذي أساء الأمانة وتصرف بأموال المسلمين"لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت، ما كانت لهما عندي هوادة، ولا ظفرا منّي بأرادة، حتي إخذ الحق منهما(علي‌بن ابي‌طالب، ١٤١٢: ٣٣٣). أن عليا(عليه السلام): كان تمثيلا عميقا لحركة الاسلامية في المجتمع الانسانية على مر التاريخ.

الزمان الخطبة

تدلّ هذه الخطبة على صدر الإسلام الذي قام فيه الصراع علي الخلافة، خصوصا بعد مقتل عثمان ورفض معاوية، الانقياد لسلطة الإمام علي(عليه السلام)الذي تولّي الخلافة

نتيجة الشوري؛ وقد اضطرَّ الإمام إلي خوض حرب جهادية قاسية، خرج خلالها قوم علي طاعته فسموا الخوارج.

كان أميرالمؤمنين (عليه السلام) بحق نموذج الإنسانية. في عصر يكتنفه الجهل إلاّ ما شذَّ وندر، ولولا الجهل بالحق لما حصلت أحداث الجمل وصفين والنهروان.

خصائص وقيم:

ينتمي هذا النص إلي فنّ الخطابة. والخطابة فنّ من فنون النثر الشفهي،يقوم علي توجّه الخطيب مباشرة،إلي السامعين،بغية إقناعهم بصواب قضيةأوخطئها،والتاثير فيهم من طريقي الترغيب والترهيب.نشأت الخطابة في العصر الجاهلي وازدهرت حتي صارت مكانةالخطيب تفوق مكانة الشاعر.تطوّر هذا الفنّ، في عصر صدر الإسلام،لأن النبياعتمده في نشر الدعوة،وقد صار الفريضة في أيام الجمع والأعياد.

وقد طرح الإمام قضيتين: قضية اقتران الحق بواجب، أو مقابلة الحق بحق، (قضية تكافؤ الحق والحقوق). هذه الخطابة فنّ من فنون النثر، شفهيّ، يقوم علي توجّه الخطيب مباشرة إلي السامعين بغية إقناعهم بصواب قضية أو خطئها، والتاثير فيهم من طريقي الترغيب والترهيب.

موافقة الخطبة لمقتضي الحال:

فقد ألقاها الإمام ليبين حقه في الخلافة،وبالتالي في طاعة الناس له،بعد أن خرج قوم علي طاعته اثر معركة صفين،إنه الخليفة الشرعي الذي تولّي الخلافة بعد مقتل عثمان،نتيجة لتطبيق مبدا الشّوري،وسلطته من عند الله،مصدر كلّ سلطةفي النظام الثيوقراطي. ومن هنا طغيان الجانب الديني علي معاني الخطبة التي شائها علي (عليه السلام)اثباتا لحقه في حكم الناس،وتسويغا لحربه الجهادية،وقد جائت هادئة،عقلانية،فهو ينطلق من معتقد راسخ في نفسه،ويخاطب أناسا مومنين يوثر فيهم المنطق الديني.

عمق التفكير:يمكننا القول إنّ هذه الخطبة تدخل في باب فلسفة السلطة،فلا حق من غير واجب. وقد بين الأمام علي(عليه السلام) أنّ هذه القاعدةمطلقة،حتي إن الله،سبحانه جعل حقّه علي العباد أن يطيعوه،وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب. وهذا مثال علي ما يجب أن تكون عليه الحال بين الحاكم والمحكوم.

عفوية الأسلوب: الابتعاد الإمام عن التعقيد لفظا ومعني وتركيبا.ذلك أنّه يتوجّه الي مخاطبين مختلفي المستويات،وعليه دن يحقق النتيجة المطلوبة من خطبته،وهي حسن توصيل ما يريد إبلاغهم إياه.فالمشافهةتفرض العفوية والابتعاد عن الصناعة،إلّا أنّ ذلك لا يحول دون اعتبارنا الخطبة منسقة تنسيقا ذهنيا واضحا،لعلّه نابع من شخصيةالإمام ومنهجه الذي سمي "نهج الباغة".

التدرج المنطقي: تدرج الإمام في عرض فكره بطريقة منطقية، ابدأ من طرح الفرضيّة وانتهاء بالنتيجة المطلوبة؛ بطريقة برهانية لذا استطعنا اعتبار نصه متنميّا الي النمط البرهاني.

بلاغة الإمام:تتجلِي بلاغة الإمام في حسن اختيار المفردات المعبرة بدقة عما يريد إبلاغه(التواصف والتناصف).بلاغته في تنسيق الجمل وخلق التوازن فيما بينها. تدل الخطبة علي شخصية الإمام المتعددة الابعاد. انه اللمسوول الذي يخاف علي هذه الدولة الفتية التي اوءتمن عليها، من الانهيار، لذلك راح يرسم الخطة التي تيّئس مطامع الاعداء، وتجعل الناس متمسكين ببقاء الدولة ألا وهو تأدية الحقوق المتبادلة مابين الوالي والرعية والتناصح في ذلك وحسن التعاون عليه.

النتيجة

إن اصلاح العباد والبلاد هو الهدف الاساسي الذي يقوم عليه نهج أميرالمؤمنين (عليه السلام). فقد عالجت خطب ورسائله، شؤون المجتمع: الاجتماعية، الاقتصادية، العلمية، والسياسية. النظرية السياسية التي شرعها أميرالمؤمنين، في الحكم.. العدالة... المساواة... الاخلاص بالعمل من أروع وأعظم التشريعات و التعليمات و الوصايا والعهود في التأريخ البشري وقد إستقى منها الغرب والشرق دروس وعِبر في الكيفية التي يتولى فيها الحاكم وشرعيته وتعامله مع شعبه والمجتمع. في الحقيقة الحديث عن علي (عليه السلام)، حديث في غاية الصعوبة و أخيراً، فان نهج الامام أميرالمؤمنين (عليه السلام)، المتصل بالعدالة الاجتماعية يصلح لكل المجتمعات التي يعاني أهلها من الفقر والحرمان. نتيجة مبدأ الشوري إنه الخليفة الشرعي الذي تولي الخلافة بعد مقتل عثمان.؛ وسلطته من عندالله، مصدر كل سلطة في النظام . ويتبين لنا حقوق الناس من حقوق الله. وهي حقوق متبادلة. فلا يكون حقّ الّا ويقابله واجب،ولا يكونواجب الّا ويقابله حقّ.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتدىء به القرآن الكريم

- بولس ، متري ، (٢٠٠٩)؛ المعري وجبران ونعيمه يتحدثون عن الإمام، دارالروائع، بيروت.
- جرداق ، جورج ، (٢٠٠٨)، إلامام علي(عليه السلام) صوت العدالة الانسانية، دار الانسانية، بيروت.
- حنين، إدوار، (٢٠٠٠)، بعد العاصفة، دارالفارابي، بيروت.
- الرضي ، الشريف، (١٩٩٨)، نهجالبلاغة؛ترجمه: شهيدي، مهاجر، تهران.
- زيتون ، محمد علي ، (٢٠١٢)، أدبية الخطابة الإسلامية، دارلفارابي، بيروت.
- طي ، محمد ، (١٩٩٧)، علي(عليه السلام) وقانون الطواريء، المنهاج، بيروت.
- العقاد ، عباس ، (٢٠١٢)، عبقرية الإمام علي(ع، دارالهلال، مصر.
- علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، (١٤١٢ه) ، نهجالبلاغة ، شرح صبحي الصالح ، دارالهجرة ، قم ، ايران.
- هيفا ، راجي نور، (٢٠٠٥)، الإمام علي (عليه السلام) في الفكر المسيحي المعاصر، دار العلوم، لبنان .